بيان ضد الحرب

أيها الناشطين والناشطات في الحركات المجتمعية، والعاملين والعاملات، والعلماء والعالمات، والمشتغلون بالثقافة في جميع البلدان!

لقد حصل الأمر المشين بالفعل: عادت الحرب بشكل راسخ إلى واقعنا اليومي في أوروبا. ,تتحول اليوم مدن أوكرانيا الكبيرة إلى ساحات معارك، وتنتزع القذائف والصواريخ أجساد البشر المسالمين إلى أشلاء، أو تطمرهم أنقاض مساكنهم المتهدمة، بينما يدفع الجوع والبرد والعطش والظلمة من نجا منهم في الملاجئ أو أنفاق المترو من الغارات البربرية، إلى اللجوء والهرب. عادت البربرية لتتربع بيننا.

بدأت بوادر هذا الجحيم بالظهور والانتشار منذ ما يزيد على 20 عاماً: بداية في الشيشان ويوغوسلافيا، وثم في أفغانستان، والعراق، ومازال ماثلاً لغايته في اليمن وسوريا وغيرها من مناطق الشرق الأدنى. والآن عاد مجدداً ليطرق باب أوروبا، واصلاً في الحرب العدوانية الروسية على أوكرانيا مواصيل كارثية. وتحولت التجمعات العمرانية المدينية الكبرى بملايين السكان إلى أهم ساحات القتال بين الجيشين.

لتنامي توحش النزاعات المسلحة أسباب عديدة. منها كونه تعبير عن ازدياد تنافس القوى الكبرى الإمبريالية الذي استمر بالظهور في العقود الأخيرة خلف كواليس العولمة الاقتصادية العالمية. حيث ظهر، من جديد، وجهي النظام العالمي الرأسمالي، حيث اعتمد، من جهة، على السلم الدولي المدر للأرباح عبر عولمة سلاسل شحن البضائع، وأنظمة المعلومات، في مسار يرسخ استلاب واستغلال الطبقات العاملة ويصل به إلى أقصى أصقاع كوكبنا. لكنه، ومن جهة ثانية، استمر في إشعال معارك ازدادت شراسة حول مناطق النفوذ الجيوستراتيجي. ومن الأمثلة النمطية على هذه الازدواجية، كيف جمعت الصين بين مشروعها الرابط بين القارات "طريق الحرير الجديد" ومطالبها بالسيطرة على تايوان وبحر الصين الجنوبي. كذلك تعتبر الولايات المتحدة مثالاً نمطياً آخر: فهي قد جعلت، في سعيها لتثبيت سيطرتها العالمية اقتصادياً، من غريمها الشرق آسيوي ورشة توسّع لطاقتها الإنتاجية من جهة، بينما تحاول واشنطن في الآن ذاته إفشال مشروع "طريق الحرير الجديد" الصيني على كل الأصعدة، غير موفرة جهداً لتقويض أي نجاح في بناء علاقات اقتصادية سلمية بين بين الصين وروسيا وأوروبا. وقامت الإدارة الأمريكية بالتوازي بتنصيب حلفها العسكري، الناتو، في وجه الاتحاد الروسي، لمنع انخراط خليفة الاتحاد السوفييتي المنهار ضمن أوروبا موسّعة ذات نظام مستقر من السلم والضمانات الأمنية المتبادلة. وهنا تلعب الضغوط الاقتصادية ذات الدور كما في العلاقة مع الصين، بدليل جهود تقويض نجاح خط أنابيب الغاز الشمالي الثاني (North-Stream 2). وما نجحت الولايات المتحدة فيه تجاه روسيا، ارتد عليها في حالة الصين، ما سمح للأخيرة بالصعود لتصبح القوة العالمية المنافسة. أما العامل الثالث في تنامي التوحش فقد أتى من خلال الأصولية الإسلامية، بوصفها شكلاً رجعياً بعمق من أشكال معاداة الإمبريالية، والتي تصبو لتحقيق دولة دينية أبوية (بطريركية). وأضحت هذه التطورات مهددة للبشرية، لكون الأطراف المتنازعة جميعها استندت على عدد عسكرية، اجتمعت فيها بتأثير التطور التقني الرأسمالي قوة تدميرية متنامية للمنظومات التقليدية.

لا يمكن فهم الحرب العدوانية التي أشعلتها روسيا ضد أوكرانيا منذ 24 شباط/فبراير، إلا أمام هذه الخلفية المذكورة. وتفسر العلاقات الموضحة تلك قصة نشأتها كذلك. فعندما انهار ت امبراطورية الاتحاد السوفييتي، حصلت الولايات المتحدة على موافقة روسيا على دخول ألمانيا الموحدة بأكملها ضمن حلف الناتو، من خلال التعهد بعدم العمل على تمدد الناتو باتجاه شرق أوروبا. وكانت الفرصة سانحة آنذاك لأن تأخذ روسيا منحى الديمقراطية والانفتاح على أوروبا. لكن هذه الفرصة أغلقت أبوابها خلال بضع سنوات لاحقة. فبدأ توسع الناتو شرقاً منذ عام 1997

بشكل خفي، وأصبح علنياً بعدها، ولحقه توسع الاتحاد الأوروبي. كان الشعور بالمهانة تجاه هذا الإقصاء سائداً ضمن نخب السلطة الروسية وفئات واسعة من الشعب الروسي على حد سواء. ورغم وجود بعض الاتجاهات المضادة نحو التفاهم، وبالأخص في فرنسا وألمانيا، فإن حلف الولايات المتحدة مع دول أوروبا الشرقية كان كفيلاً بإفشالها. وأتت هذه الغطرسة مفاعيلها في روسيا كعامل خارجي سمح لبعض أوساط النخب الحاكمة بتحقيق ما كانت تصبو إليه منذ انهيار الاتحاد السوفييتي من تحقيق استراتيجية استعادة الأمجاد، ووصلت ذروتها خلال حقبة بوتين. كذلك تم تجاهل إشارات الإنذار التي أصدرتها مفاعيل المسار الاسترجاعي - حرب جورجيا 2008 وضم القرم 2014. وبدلاً من ذلك تم وضع بنى تحتية عسكرية للناتو في أوكرانيا، رغم أنها كانت منشغلة بحرب أهلية ذات مشاركة روسية غير مباشرة منذ 2014. ومثلت المناورات المشتركة بين الجيش الأوكراني والناتو في أيلول/سبتمبر 2021 نقطة عبور الخط الأحمر. حيث لم يكن تقدم الناتو المباشر على جبهة بطول 1200 كم على الحدود الروسية الغربية بأمر قابل للتحمل من قبل النخب السياسية والعسكرية الروسية، فقررت الحرب العدوانية على أوكرانيا استباقاً لانضمامها الرسمي إلى حلف الناتو.

ولا تمثل الأفكار السابقة في الحقيقة نوعاً من الدفاع التبريري، فالحرب العدوانية على أوكرانيا لا يبررها أو يشرعنها شيء. بل كنا نوضح أن الحرب العدوانية الكارثية سبقتها أعمال عدائية امبريالية من طرف الغرب، استفزت في روسيا البوتينية منطقاً جيو-استراتيجياً تشترك به جميع نخب السلطة الامبريالية. فلنتصور لو أن الاتحاد الروسي قد أبرم حلفاً عسكرياً مع كوبا والمكسيك وبدأ بوضع بنى تحتية عسكرية معادية لها أمام باب الولايات المتحدة الجنوبي!

وتوضح هذه المقارنة أننا لا نستطيع أن نكون طرفاً في لعبة بوكر القوى الامبريالية. ونحن نشجب العدوان الروسي بأقوى العبارات. ولكننا نرفض نخب السلطة الغربية أيضاً بشكل قطعي؛ فبدلاً من الاعتراف بفشل أهدافها التوسعية غير المحدودة، تقوم الآن بزيادة التصعيد عبر الحرب الاقتصادية الشاملة والمساعدات العسكرية الواسعة النطاق.

نحن نعلم بوضوح أننا لا نمثل حالياً، بهذا الموقف ضد جميع الأطراف المباشرة وغير المباشرة في حرب أوكرانيا، سوى أقلية متناهية في الصغر. لكننا لن نسمح لهويتنا، وتوجهاتنا في سبيل الكفاح المجتمعي والتحرري من أجل المساواة وتقرير المصير، أن تستلب في سبيل الانضواء ضمن منطق الحرب الامبريالية والاحتقار الذي يظهره دعاة الحرب من جميع الأطراف. نحن مسؤولون عن الإنهاء الفوري للأعمال العسكرية، قتل المدنيين، الغارات، التجويع، التشريد الجماعي للشعب الأوكراني، وعن إيقاف تدمير البنى المجتمعية. لا يمكن أن نسمح للناتو والغرب أن تعمل على الدفاع عن أوكرانيا حتى آخر أوكراني قادر على حمل السلاح، وأن نترك الأركان الروسية تعتبر التضحية بآلاف الجنود (وأغلبهم في خدمة العلم) ثمن للحرب. لكننا لا نرغب أيضاً بأن نُسأل لاحقاً من أولادنا وأحفادنا لِم لم نفعل شيئاً ضد توسع الأزمة الأوكرانية إلى حرب أوروبية شاملة، أو حتى إلى حرب نووية مدمرة. وهذا الخطر يتنامى باستمرار إزاء الدعم العسكري الكبير من قبل الولايات المتحدة والناتو، وعلى خلفية العقوبات الاقتصادية الشاملة. نحن لسنا بمتفرجين سلبيين. وإن استمرت دوامة التصعيد كما هي الآن، فمن المحتمل أن نشهد نحن في الأسابيع القادمة أهوال الحرب كما يشهدها المدنيون الأوكرانيون اليوم.

نحن نطالب

1. وقف فوري لإطلاق النار وانسحاب القوات المقاتلة من كافة المراكز السكانية
2. انسحاب القوات الروسية من أوكرانيا. نزع السلاح عن كافة الميليشيات غير النظامية على الأراضي الأوكرانية

3. الإنهاء الفوري لإمدادات الأسلحة ومشاركة حلف الناتو غير المباشرة بالحرب

4. إيقاف العقوبات فوراً وإنهاء الحرب الاقتصادية

5. البدء بمفاوضات سلام بين روسيا وأوكرانيا تحت رقابة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE). تعهد أوكرانيا بالحياد غير المحدود زمنياً والعمل على تفكيك البنى التحتية العسكرية للناتو في أوكرانيا مقابل ضمانات أمنية مكفولة دولياً تقدمها روسيا

6. توضّع الدولة الأوكرانية بشكل جسر محايد بين الناتو/المجموعة الأوروبية وروسيا تحت مظلة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا. اتفاقات ثنائية للإعمار والتعاون الاقتصادي بين أوكرانيا وكل من المجموعة الأوروبية والاتحاد الجمركي لدول ما بعد الاتحاد السوفييتي

من الواضح لنا جميعاً أن هذه المطالب ستبقى قصور في الهواء طالما لم تفرض تحقيقها الحركات المجتمعية، والطبقات العاملة وفئات المثقفين النقديين في حملة دؤوبة منسقة دولياً.

حان الأوان لتفعيل المقاومة العريضة ضد العسكرة، والتي تشمل الكفاح المجتمعي على نطاق دولي. وهذه المقاربة ذات فرصة قوية للنجاح، كما تظهره لنا تجربة انضمام الاحتجاج على حرب فيتنام مع الكفاح الدولي المجتمعي في نهايات ستينات القرن العشرين.

لذلك فإننا نقترح هذه الخطوات الأولى لتفعيل المقاومة:

1. نشاطات المقاطعة لفرض إيقاف كافة إمدادات الأسلحة إلى أوكرانيا وغيرها من مناطق النزاعات في العالم

2. تفعيل حملة دعم وتأييد لمن يرفضون حمل السلاح. حملة لمقاطعة خدمة العلم في كافة جيوش العالم المشاركة بشكل مباشر أو غير مباشر بالحرب الأوكرانية؛ تجاهل أوامر الإلتحاق، رفض تنفيذ الأوامر، الهرب من القطعات المحاربة وقطعات الإمداد الروسية والأوكرانية ولدول الناتو.

3. المشاركة في حملات المساعدة لجميع اللاجئين من أوكرانيا دون تمييز، وغيرها من مناطق النزاع

4. حان الأوان لأن نقف موقفاً حازماً تجاه تشرذم وضياع حركة السلام والاحتجاج. تتجه المظاهرات الجماهيرية في كافة أنحاء العالم، ومصالح الطبقات العاملة، ضد كافة القوى الإمبريالية ولا يتوجب ألا تقف مع طرف دون الآخر. كان هدفها وما يزال التغلب على الاستغلال، والسطوة الأبوية الذكورية، والعنصرية، والشوفينية، وتدمير الطبيعة، وتحقيق حقوق الإنسان الفردية والاجتماعية. واليوم يأتي لينضم إليها الكفاح ضد عودة البربرية والوحشية.

آن الأوان لأن يتحد أنصار السلام في كافة أنحاء العالم، قبل فوات الأوان. فخطر استخدام السلاح النووي حقيقي وقائم وعلينا بذل كل شيء لدرئه. هذا هو واجبنا تجاه الأجيال القادمة!

14.03.2022

الموقعون الأساسيون:

Cesare Bermani, عالم تاريخ, Orta San Giulio

Sergio Bologna, عالم تاريخ ومستشار لوجستي, ميلانو

Helmut Dietrich, مؤسسة البحث في النزوح والهجرة Forschungsgesellschaft Flucht und Migration e.V., برلين

Rüdiger Hachtmann, عالم تاريخ, برلين

John Holloway, علوم سياسية, Universidad Autónoma de Puebla

Erik Merks, مسؤول نقابي متقاعد, هامبورغ

Karl Heinz Roth, عالم تاريخ وطبيب, بريمن

Bernd Schrader, عالم اجتماع, هانوفر

Hans Schulz, طبيب, هامبورغ-هاربورغ